

الفرنكوفونية ورسم السياسات اللغوية للدول

-المغرب أنموذجاً-

لحسن عيا: باحث بسلك الدكتوراه

جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مختبر أدب اللغة العربية وعلومها: مفاهيم وقضايا

Summary: Though this study, we will stand at the Francophonie extension and the spread of the French language in education, media, and administration in Morocco. Also, the present study will examine the historical background of languages in Morocco, the initiation of the Francophone project and its main stations, objectives, ways of fighting against the Arabic language and the national identity, and how it takes control over the language policies.

Key words: Francophonie, Language policy making, Language policies, Morocco.

الملخص: نروم من خلال هذه الدراسة الوقوف عند المد الفرنكفوني بالمغرب وانتشار اللغة الفرنسية في التعليم والإعلام والإدارة، كما سنقف من خلالها عند الخلفية التاريخية للغات بالمغرب وبدايات المشروع الفرنكفوني وأهم محطاته وأهدافه وطرق محاربته للغة العربية والهوية الوطنية وكيفية تحكمه في السياسات اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الفرنكفونية، رسم السياسات اللغوية، السياسة اللغوية، المغرب.

مقدمة:

يستحيل ألا يلفت انتباه الزائر لبلد المغرب وهو يتجول في شوارعها العريقة ذلك الكم الهائل من لافتات المتاجر ولوحات الإشهار وعناوين المجلات والجرائد، وقد كتب معظمها بلغة "موليير" وكأن الشارع الشانزليزيه وكأن المدينة باريس. فمن هنا مرت فرنسا مخلقة آثارها على لسان حديث الناس وسبورات المدارس وكراسات التلاميذ وسوق المال والأعمال ولون الفن والإعلام. إنها سطوة فرنسية يراها البعض غنيمة حرب، فيما يراها آخرون قفازة حرير لحرب لم تنته بعد.

قبل الحديث عن تفاصيل هذه الدراسة نشير إلى أننا نروم من خلالها الوقوف عند العناصر الآتية:

- الخلفية التاريخية للغات بالمغرب.
- حركات الدعوة للتعريب.
- بدايات المشروع الفرنكفوني.
- محطات الفرنكفونية في سطور.
- أهداف المشروع الفرنكفوني.
- الفرنكفونية والحرب على الهويات واللغات الوطنية.
- الفرنكفونية والتحكم في السياسات اللغوية.
- طرق محاربة الفرنكفونية للغة العربية
- أصوات مناهضة للفرنكفونية ورافضة لمشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

أولاً: الخلفية التاريخية للغات بالمغرب.

يسجل تاريخ المغرب تطور الأوضاع اللغوية في البلاد. منذ التاريخ القديم أيام حضارات العصر الكلاسيكي المتمثلة في الحضارة الفينيقية واليونانية والموريطانية الرومانية إلى يومنا هذا. ويشهد التاريخ التعايش السلمي بين الأمازيغ -السكان الأصليين المغرب- والعرب الذين دخلوه أيام الدولة الأموية في القرن السابع ميلادي، فانتشر الإسلام في بلاد المغرب العربي، واتخذه أغلب الأمازيغ ديناً لهم، وليس ذلك فقط وإنما ظلوا يتصاهرون ويتسابقون في تعلم اللغة العربية، ولم يشهد التاريخ آنذاك أي اعتراض من الأمازيغ على وجود العرب والعربية والإسلام في بلادهم، إلى أن دخل الفرنسيون بلاد المغرب.

مع دخول المستعمر الفرنسي إلى المغرب، دبت حركة التفرقة بين العرب والأمازيغ بتحريض من المستعمر، الذي حاول الطعن في الهوية الوطنية وركز على المكون اللغوي، ذلك لأن العربية أهم مقوم من مقومات الهوية الثقافية للمغرب. يعلق اللساني المغربي عبد العلي الودغيري على ذلك قائلاً: "العربية بما هي أهم مقومات الهوية الثقافية للمغرب، كما هي لبقية الشعوب العربية بعد الدين الإسلامي -يكون القضاء عليها قضاء على هذه الهوية، والقضاء على هوية شعب أو أمة معناه تجريدتها من شخصيتها وسهولة فرض التبعية عليهما، فمن لا هوية له فهو لا شك مضطر إلى تبني هوية الآخر

والذوبان فيها. أو على الأقل تقمصها والتشبه بها، فهو ذيل من ذيولها وتابع من توابعها، وفاقد التميز مسلوب الإرادة والرأي والقرار ومن سلب ذلك فهو في حكم المعدوم أو المفقود".¹

لقد خلق المستعمر الفرنسي للقضاء على الهوية العربية والدين الإسلامي جملة من الادعاءات نجملها في يلي:

- الادعاء بأن اللغة العربية عائق أمام التطوع والإبداع، وعاجزة على مواكبة الركب الحضاري والعلمي.
- الدعوة إلى استعمال الدارجة بدل العربية على أساس أن الدارجة (اللغة الأم) وأن العربية (لغة مصطنعة) تكتسب بالتعليم شأنها شأن اللغات الثانية.²
- تحريض الأمازيغ على إحياء أعرافهم والتحاكم إليها بدل الشريعة الإسلامية.³

اختلفت الآراء وتعددت حول الوضع اللغوي بالمغرب ما بين مناهض للغة العربية، ومطالب بإحلال الأمازيغية محلها، وموقف رافض للأمازيغية على أساس أن التاريخ لم يسعفها إلى الانتقال إلى مصاف اللغات المكتوبة، وموقف يطالب بالمساواة بين اللغتين بوصفهما لغتين وطنيتين.⁴ ويمكن تصنيف الحركات التي شنت ضد العربية على النحو الآتي:

- حركة فرنكفونية في صيغة متطرفة مضادة في العمق لألسن الهوية المغربية مدعومة من فرنسا ماليا وسياسيا، وتحظى باحترام النخبة المثقفة.
- حركة أمازيغية أنشأتها المؤسسات الكولونيالية في العشرينات من القرن الماضي تطالب بحقوق لغوية مشروعة، وهي لا تخفي رغبتها في أن تكون لها الغلبة بوصفها اللغة الأصلية للمغاربة. وما عداها لغات استعمارية أو طارئة على أحسن تقدير، فتحول الصراع اللغوي من صراع بين العربية والفرنسية الدخيلة إلى صراع وطني بين لغات مغربية، وانطلق نضال الحركة الأمازيغية في نهاية ستينات القرن الماضي، وبدأت المرحلة الثانية "مرحلة

¹ عبد العلي الودغيري، الدعوة إلى الدارجة بالمغرب، الجذور والامتدادات - الأهداف والمسوغات - في الدارجة والسياسة اللغوية في المغرب، المركز المغربي للدراسات والأبعاد المعاصرة 2010، ص 35.

² بلحبيب رشيد، الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، مؤتمر اللغة والهوية في الوطن العربي، قطر،

2012 ص 273

³ المرجع السابق

⁴ المرجع نفسه، ص 26

الجهز بالقضية" في سنة 1980 وفي المرحلة الثالثة 2001 ظهر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية إلى الوجود إلى أن اعترف بالأمازيغية رسميا سنة 2011.⁵

- حركة خارجية تؤطرها جهات خارجية بالأساس تقصد تميع المشهد اللغوي ومعاداة اللغة العربية، ولا تخفي احتقارها لها من خلال إصداراتها الشعبية.⁶

ثانيا: بدايات المشروع الفرنكفوني.

يرى العديد من المؤرخين أن فرنسا واكبتها خلال تاريخها نزعة نحو الامتداد شرقا وغربا وشمالا، ففي القرن الخامس ميلاد قام الملك "كلوفس" بلم شمل القبائل تحت لواء قبيلة الإفرنجية التي أصبحت تسمى فرنسا، وفي القرن نفسه كانت مدينة "كليمونت" الفرنسية منطلقا لأول دعوة من أجل تحرير القدس من العرب، وفي القرن التاسع عشر دفعت التأملات الجغرافية في مناطق نفوذ فرنسا العالم الفرنسي "أونسيم ريكلوس" إلى ابتكار مصطلح "العالم الفرنكفوني". يقول: "سوف نقبل كل من توجهوا أو بدا أنهم قد توجهوا ليشاركونا لغتنا، باعتبارهم فرنكفونيين".⁷

وقد عمل الجنرال ليوطي في خطته آنذاك على الانتقال بالمتعلم من الأمازيغية إلى الفرنسية مباشرة دون تلقينه العربية، لأن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام والقرآن، يقول: "من الناحية اللغوية علينا أن نعمل مباشرة على الانتقال من البربرية إلى الفرنسية.. فليس علينا أن نعلم العربية للسكان الذين امتنعوا دائما عن تعلمها. إن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج نطاق الإسلام".⁸ وفي هذا السياق يقول عالم الاجتماع المغربي إدريس الكتاني: "لا شك أن التخلف الذي يوجد عليه المغرب لم يكن يعني مظهرا من المظاهر الموجودة في الاستقلال السابق للاحتلال الفرنسي، الماريشال ليوطي هو الذي وضع أسس فرنكفونية

⁵ أحمد عزوز، العدالة اللغوية في المجتمع المغربي، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، ص 82

⁶ بلحبيب رشيد، الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، مؤتمر اللغة والهوية في الوطن العربي، قطر، ص 26-262، انظر كذلك محمد الأوراغي مستويات لغوية وطبقات اجتماعية" في "الدارجة والسياسة اللغوية بالمغرب" ص 75

⁷ أونيسيم ركلوس، فرنسا والجزائر والمستعمرات، 1880

⁸ دورية الجنرال ليوطي حول لغة التعليم بالمغرب بتاريخ 1921/6/16

ابتداء من تصريحاته وتخطيطه القائم على أساس أن الأطفال ليس فقط الأطفال العرب، أن الأطفال الشلوح قال هؤلاء يجب أن يفرنسوا من البربرية إلى الفرنسية مباشرة من غير أن يمروا باللغة العربية".⁹

لكن الملاحظ أن بعد "أونيسيم ركلوس" لم يستعمل مصطلح الفرنكفونية إلى أن جاء الجنرال "شارل ديغول" في خطابه سنة 1944 وليتردد صده بعد ذلك في خطاب "ليوبود سيدار سنغول" ابتداء من سنة 1962 حيث كانت مجلة الروح الفرنسية هي المنبر المؤسس للمشروع الفرنكفوني، وليكون سنده في ذلك حليفه السياسي "الحبيب بورقيبة" الذي خاطب الرئيس الفرنسي ديغول بنبرة سياسية حادة حينما رأى ضعف حماسه في دعم المشروع الفرنكفوني. يقول: "إذا استمرت فرنسا في مراعاة التحفظ نفسه، كي لا يبدو أنها تشجع، لا أدري أي نوع جديد من الاستعمار، فليكن. فلن يحدث شيء إطلاقاً وستطوى الصفحة...".¹⁰

يقول عالم الاجتماع المغربي إدريس الكتاني: "في إيكس لبيان التي حضرتها أنا مع الوفد، وفد حزب الشورى والاستقلال كالأحزاب الأخرى كان واضحاً في أثناء المفاوضات أن من بين الشروط لاعتراض فرنسا باستقلال المغرب، أن تظل اللغة الفرنسية لغة أساسية في التعليم والثقافة والإعلام في المغرب".¹¹

وتؤكد الخزانة الوطنية الفرنسية بعد سنة 2006 أن خلال الأعمال التحضيرية لمفاوضات الاستقلال تم استبعاد أسماء من الوفد المفاوض معروفة بنزوعها الشديد نحو إلغاء اللغة الفرنسية من الحياة العامة بعد الاستقلال.

ثالثاً: الفرنكفونية: تأطير تاريخي.

إن المتتبع لمسار وتاريخ الفرنكفونية والمستقرئ لمسيرتها يقف عند هذه المحطات المهمة من تاريخها:

⁹ إدريس الكتاني، ثمانون عاما من حرب الفرنكفونية على الإسلام واللغة العربية، منشورات نادي الفكر الإسلامي، الرباط، ص 173

¹⁰ الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، جامعة لافال - كيبك بتاريخ 24 سبتمبر / أيلول 1966

¹¹ إدريس الكتاني، ثمانون عاما من حرب الفرنكفونية على الإسلام واللغة العربية، منشورات نادي الفكر الإسلامي، الرباط، ص 173

- أول من استعمل مصطلح الفرنكفونية هو الباحث الفرنسي المتعصب سنة 1989، وكان الهدف من استعماله لهذا المصطلح بشهادة أحد الفرنكفونيين الكبار هو تنحيه للغة العربية والإسلام معا.
- خطاب ديكول السياسي الذي اعتبره الفرنسيون تاريخيا سنة 1944 مباشرة عقب تحرير باريس من النازية.
- 1961 ستنتقل الفرنكفونية من فكرة مع ريكلوس وبرنامج سياسي مع ديكول إلى ميزانية حية لتجسيد فكرة " من يتكلم فرنسيا يشتري فرنسيا".
- الفرنكفونية وإن مازلت مؤسسة جنينية لكنها أثمرت استمرار الدولة الراعية حاصلة على امتياز التفوق التاريخي والرمزي عن طريق استعمال آليات هيمنة مكشوفة.
- في سنة 1962 أصدرت مجلة الفرنكفونية الفرنسية عددا خاصا لتمجيد اللغة الفرنسية.
- في سنة 1966 سيتم تأسيس اللجنة العليا للدفاع عن اللغة الفرنسية في شكل مرسوم جمهوري.
- في سنة 1966 تأسيس منظمة الشباب الفرنكفوني.
- في سنة 1966 تأسيس المنظمة الدولية للبرلمانيين الناطقين باللغة الفرنسية.
- في 1969 تصدر جائزة أدبية لتشجيع الإبداع والكتابة باللغة الفرنسية.
- في سنة 1969 تأسيس الفيدرالية الدولية للمعلمين الناطقين باللغة الفرنسية.
- في 20 مارس سنة 1970 تأسيس وكالة التعاون الثقافي والفني للتبادل مع الحكومات، وتحول هذا اليوم إلى اليوم العالمي للفرنكفونية، وكان المغرب من أوائل الموقعين على اتفاقية التبادل الثقافي.
- في السنة نفسها ستظهر القناة التلفزية الخامسة ويكون دورها تقوية الحضور اللغوي والثقافي في المستعمرات السابقة.
- في سنة 1986 المنظمة الجامعة بباريس وتضاف إليها بلجيكا والكيبيك في كندا واللوكسبورغ.

تعليقا على هذه المحطات يقول الدكتور عبد الكريم غلاب: "الملاحظ أن اجتماعات هذه المنظمة كلها حديث عن

التعدد والتنوع والاختلاف وكل ممارساتها إقصائية وهيمنة".¹²

رابعا: الدعوة إلى التعريب

¹² عبد الكريم غلاب، رهانات الفرنكفونية في علاقتها بمسألة التعريب، ص 40

كان الزعيم الوطني الراحل عبد الخالق الطريس أول من تقدم بمقترح قانون حول تعريب الإدارة والحياة العامة وذلك سنة 1963 إلا أن الحكومة آنذاك برئاسة أحمد بحنيني رفضته لاعتبارات شكلية، وإلى غاية سنة 1978 أعاد النائب الاستقلالي البرلماني سعد العلمي طرح مقترح الزعيم عبد الخالق الطريب لتعريب الحياة العامة، إلا أن الحكومة برئاسة الاشتراكي عبد الرحمن اليوسفي قد رفضته أيضا لنفس الاعتبارات الشكلية. وفي سنة 2003 تقدم نواب من الفريق الاستقلالي بنفس المقترح رفضه رئيس مجلس النواب عبد الواحد الراضي الاشتراكي لاعتبارات شكلية أيضا، وأما سنة 2008 فتقدم الفريق الاستقلالي بنفس المقترح إلا أن الوزير الاستقلالي المكلف بالعلاقة مع البرلمان سعد العلمي والذي سبق له أن تقدم بنفس المقترح يوم كان نائبا رفضه هو نفسه لاعتبارات شكلية أيضا.

فهل للعبة شد الحبل هاته من نهاية بين من يقترح ومن يرفض تعريب الحياة العامة في تناوب عجيب على المواقع والأدوار؟

خامسا: الفرنكفونية ورسم السياسة اللغوية في مجال التعليم.

أصرت فرنسا على التدخل الصريح والمباشر في السياسة اللغوية والتعليمية والثقافية للمغرب الخاضع لهيمنتها، بل وحرصت حرصا شديدا على فرض اللغة الفرنسية في مؤسسات الدولة والحياة العامة. بعدما وجدت في النخب الفرنكفونية المتحكمة في القرار خير معين لها على تطبيق سياستها، حيث تحقق لها في مجال التمكين للغة الفرنسية في عهد ما بعد الاستقلال السياسي. ما لم يتحقق لها في عهد الاستعمار المباشر، لذلك فإن هناك من يرى أن الاستقلال الوطني لكثير من المستعمرات الفرنسية. تحقق في جلاء المستعمر عن الأوطان عسكريا، أما الاستقلال الاقتصادي والثقافي واللغوي فلا تزال جبهاته مفتوحة ومعركها طويلة ضارية، وقد تمتد لعقود طويلة.¹³ لأن معظم السياسات والحروب كانت انعكاسات لغوية وثقافية، برهنت على خطورة الدور الذي تلعبه اللغة في حياة الأمم والشعوب.

مارست فرنسا ضغوطات قوية على المغرب من مواقع متعددة من أجل إقرار الوجود اللغوي الفرنسي بالمغرب، وإعطاء الواقع الذي فرضه المستعمر أثناء فترة الاحتلال العسكري صفة الشرعية والاستمرارية في جميع الميادين، وخاصة ميدان التربية والتعليم وتكوين الأطر، حيث استطاعت اختراقه وفرض سياسة لغوية وتعليمية وثقافية تفرنس الأجيال القادمة

¹³ أنطوان سيف، الفرنكفونية: إيدولوجيا السياسات، تحدي ثقافي لغوي، المناقشات، ص 105.

وتفرغها من قيمها الثقافية والحضارية والدينية في أفق إدماجها في المشروع الفرنكفوني العلماني، الذي سيعزلها بشكل تام عن تاريخ وحضارة وقيم الأمة المغربية.¹⁴

لا يخفى على أحد الدور الحاسم والكبير للتربية والتعليم في ترسيخ القيم والخصوصيات الثقافية والحضارية والدينية والأخلاقية، لذلك عملت فرنسا بكل ما لديها من وسائل على التحكم في بنية التربية والتعليم وتغييرهما، والهدف من ذلك فصل الإنسان المغربي عن مقوماته الحضارية، حيث رسمت سياسة لغوية تقوم على تشجيع التمدرس باللغة الفرنسية في مقابل إقصاء اللغة العربية من التدريس بدعوى أنها ليست لغة العلوم والفنون، وإنما هي لغة الدين والعبادات. بل وصل الأمر بها إلى تشجيع استعمال العاميات واللهجات العربية والأمازيغية في التدريس، بغية إضعاف كل الروابط التي تجمع اللغة والثقافة بالمجتمع، خصوصا وأن اللغة العربية لغة القرآن، وبالتالي فإن القضاء عليها بالتدريج هو قضاء على الثقافة والتراث الإسلامي.

رغم الاستقلال السياسي للمغرب سنة 1956 إلا أنه لم يستطع وضع قطيعة نهائية مع سياسة المستعمر الثقافية واللغوية الإقصائية لكل ما هو وطني وعربي وإسلامي، بل ظل مكبلا بالشروط التي أملتها مفاوضات "إيسليان"، فكان الطابع العام الذي طبع الوضع الجديد هو الاستقلال السياسي في إطار استمرار التبعية الثقافية واللغوية والاقتصادية ضمن ما يسمى بالفرانكفونية، وهذا ما فرض معالجة مختلف القضايا بالتشاور والاتفاق مع فرنسا بما في ذلك القضايا السيادية.

15

إن ثقل التركة الاستعمارية الفرنسية على المغرب أثر بشكل كبير على مشاريع الإصلاح والبناء على جميع الأصعدة. وقد بدا الأمر واضحا في المجال التربوي والتعليمي، الذي تعثرت كل مشاريع بنائه وإصلاحه، من خلال الاضطراب والتردد في الاختيارات الذين طبعا معظم القرارات والسياسات التعليمية منذ الاستقلال، حيث طغى هاجس التوافق بين التيار الفرنكفوني النافذ والمتغلغل والمؤثر في كل مراكز القرار والمدعوم من فرنسا، والتيار الوطني المدعوم شعبيا لكنه يفتقد لأدوات الضغط الكافية للتأثير في القرارات، وفي صياغة المشاريع وتنفيذها، وخير مثال على ذلك قضية التعريب التي ما زلت تبرح مكانها منذ عهد الاستقلال رغم أنه أحد المبادئ الأربعة الأساسية التي قام عليها إصلاح التعليم غداة الاستقلال،

¹⁴ أنطوان سيف، الفرنكوفونية: إيدولوجيا السياسات، تحدي ثقافي لغوي، المناقشات، ص 129

¹⁵ خالد الصمدي جوانب من الفرنكوفونية في نظام التربية والتعليم بالمغرب، دراسة

<http://www.albayan.magazin.com/files/frankofoniah/2.htm>

وهذا ينطبق أيضا على أكاديمية "محمد السادس للغة العربية" التي جاء بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وخرج قانونها التنظيمي في الجريدة الرسمية منذ سنة 2003 إلا أنها ما تزال حبرا على ورق.

إن قوة اللوبي الفرنكفوني في مراكز القرار الوطني أفضل مشروع التعريب، الذي كاد أن ينجح لو توفرت الإرادة السياسية وخف الضغط الفرنكفوني الذي أبدى خوفه وانزعاجه من نجاح التعريب، خصوصا بعد نجاحه في بعض الدول العربية كسوريا والعراق والأردن.¹⁶

سادسا: الحرب الفرنكفونية على الهويات والثقافات واللغات الوطنية

لقد عرفت الساحة الثقافية والفكرية بالمغرب في المرحلة الأخيرة نقاشات ساخنة كان موضوعها المسألة اللغوية، وتتطور مع الزمن ليشكل حركات ذات أهداف سياسية تفكيكية ناقضة للهوية المغربية تتراوح بين المطالبة بالحقوق باسم الديمقراطية ليصل ولايتها إلى المطالبة بإلغاء اللغة الدستورية وطرد المحتل العربي متعللين بعزلها الباطل.

يرى الدكتور فريد الأنصاري أن الاختراق الفرنكفوني واضح في المجالين التربوي التعليمي والثقافي، من خلال السيطرة شبه المطلقة للغة الفرنسية على التعليم والثقافة رغم ما تعانيه هذه اللغة من تخلف مصطلحي مقارنة مع اللغة الإنجليزية، وتراجع مستوى تصنيفها العالمي ضمن اللغات الحية، كما أن الخطر النفسي والقيمي كبير على الطفل الذي تحشى ذاكرته في سن مبكرة بلغات -حاملة لفكر وقيم- غير لغته الوطنية التي تحمل هويته الثقافية والحضارية والدينية.¹⁷ إن هذا الاختراق الكبير تم من خلال ثنائية لغة التدريس، التي خلقت طبقة من المثقفين والأدباء بدون هوية، حيث تلقى الدعم الوفير والتشجيع من خلال رصد الإمكانيات المادية والإعلامية، وهذه إحدى العوائق الأساسية التي تواجه حركة التحرر الوطني من الهيمنة اللغوية والثقافية والقيمية للحضارة الغربية عموما والفرنسية خصوصا.

أما عن صور المواجهة بين مكونات الهوية اللغوية المغربية يمكن تقريبها من خلال النقاط الآتية:

- **بين اللغة العربية والفرنسية:** عداوة الدولة المستعمرة عداوة مستحكمة وجزء من مشروع الإبادة الثقافية الذي حملت لواءه بعض دول الغرب، والهدف من ذلك القضاء على اللغة العربية.

¹⁶ بوجمعة وعلي، الفرنكفونية انفتاح لغوي أم استعمار ثقافي، مجلة الإشعاع، العدد التاسع شتنبر 2017

¹⁷ عبد الناصر، الفرنكفونية ومحنة اللغة العربية بالمغرب، مجلة البيان، دراسة:

<http://www.albayan.magazin.com/files/frankofoniah/4.htm>

• **بين الأمازيغية واللغة العربية:** مع دخول فرنسا للمغرب تم تقسيم السكان إلى هويتين متقاتلتين، وحرص المستعمر الأمازيغ على العرب وصورهم بصورة المظلوم في وطنه، ونفخ في العرق والنقاء والخصوصية ودفع بهم إلى إحياء أعرافهم والتحاكم إليها، وأسس المدارس الخاصة لأطفالهم وقادهم من ألسنتهم إلى الفرنسية الحاضرة.

• **بين الدارجة العربية:** احتدم النقاش مؤخرا في المغرب بين المدافعين عن اللغة العربية والمدافعين عن الدارجة المغربية، وقد شهدت الآونة الأخيرة التحريض على اللغة العربية، التركيز على اعتماد الدارجة المغربية في الأقسام والمطالبة بإقرار الدارجة المغربية لغة رسمية للمغرب. أما المدافعين عن الدارجة المغربية فإن أغلبهم تخرجوا في مدارس البعثة الفرنسية ولا يجيدون اللغة العربية ولا الدارجة المغربية، إضافة إلى جهلهم باللغة العربية الفصيحة وتراثها وأدبها والارتباط بمصالح فرنسا الاقتصادية والسياسة بالمغرب.¹⁸

سابعا: طرق محاربة الفرنكفونية للغة العربية

عملت الفرنكفونية بكل الوسائل المتاحة لديها على ترقية اللغة العربية، والقضاء على الثقافة العربية في نفوس وواقع الشعوب، بهدف إلحاقها بالحضارة الفرنسية. وقد كان ذلك ضمن أولويات السياسة الاستعمارية لفرنسا في كل الدول العربية والاستعمارية التي احتلتها، يقول المقيم العام الفرنسي بالمغرب "الجنيرال اليوطي": "ليس علينا أن نعلم العربية لمجموعات من الناس استغنوا عليها -يقصد الأمازيغ- إن العربية عنصر أسلمة لكونها لغة القرآن".¹⁹

لقد عملت الفرنكفونية بعد الاستقلال على إتمام ما بدأه الاستعمار من خلال التضييق على اللغة العربية ومكتمليها، وجعل المجتمع ينسلخ عن لغته، عن طريق خلق فجوة بين المجتمع ولغته الوطنية، بعد أن أدرك منظروها أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة العربية والإسلام، ومن ثمة حاولوا خنقها وإقصاءها من الفضاء العام، بدعوى أنها لغة جامدة ومتخلفة وعاجزة على مجاراة المدنيات الحديثة، ولا تستوعب العلوم والاكتشافات الحديثة، وكأنهم يجهلون أو يتجاهلون أن التاريخ

¹⁸ رشيد بلحبيب، الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، اللغة والهوية في الوكن العربي، إشكاليات

تاريخية وثقافية وسياسية، ص 248

¹⁹ إدريس الكتاني ثمانون عاما من حرب الفرنكفونية على الإسلام واللغة العربية، منشورات نادي الفكر الإسلامي، الرباط

الطبعة 1، ص 198.

الإنساني يشهد أن اللغة العربية عاشت قرناً²⁰ وهي تستوعب مدنيات مختلفة وحضارات متعددة كحضارة الفراعنة والإغريق والرومان والفرس والهند.²¹

إن هدف الفرنكفونية هو إماتة الإسلام من خلال إماتة اللغة العربية وإقصائها من الإدارات والمؤسسات والفضاء العام، وقد راقبت علمية التعريب ومستجداتها عن كثب وبخدر شديد، بل عملت على إعاقتها وإفشالها بكل الوسائل، بغرض فصل المجتمع عن تاريخه وانتمائه الثقافي والروحي والحضاري حتى يسهل استلابه وإحاقه بفرنسا ثقافياً ولغوياً وقيماً، بعد أن حطمت أسس الممانعة والمقاومة الذاتية في عقيدته ولغته وثقافته.

إننا باطلاعنا على دفاتر التحملات التي أعدتها وزارة الاتصال بالمغرب سنة 2012، في إطار ما يسمى إصلاح قطاع الإعلام، نرى حجم العداء الذي تكنه الجهات الفرنكفونية لكل ما هو عربي ووطني، حيث عملت الصحافة الفرنكفونية بكل أنواعها على إشعال حرب ضروس على اللغة العربية وكل من يدافع عنها ويتبناها، بالمقابل عملت على تمجيد اللغة الفرنسية ومميزاتها الفكرية والأدبية والثقافية والعلمية، كما كشفت هذه القضية جوانب متعددة من الحرب اللغوية الخفية والمعلنة التي تدور رحاها في بلادنا، وعن نيات الفاعلين فيها، بل تم فضح الأساطير والأغاليط التي تتبني عليها خصوصاً وأنها تدار باسم التنوع الثقافي والتعدد اللغوي.

يمكن الوقوف عن بعض الطرق التي تحارب بها اللغة العربية من قبل التيار الفرنكفوني على الشكل الآتي:

- تمويل مشاريع الطعن في اللغة العربية، ووصفها بأنها لغة كلاسيكية عقيمة وميتة ومعقدة.
- الدعوة إلى العامية من أجل تفكيك الأمة والتقليل من مستواها الحضاري، وجعل الفرنسية حكماً كما هو الشأن في إفريقيا الغربية، حيث اختار المسلمون في النيجر والسنغال وغيرها، اللغة الفرنسية لتجمع شتات اللهجات حتى لا يقع اقتتال لغوي مثلما وقع في رواندا.
- فسح المجال لتسيّد الفرنسية بصفقتها اللغة الجامعة للشتات اللغوي الإفريقي وجعلها الحكم بصفقتها لغة العقل والأدب²².

²⁰ إدريس الكتاني ثمانون عاماً من حرب الفرنكفونية على الإسلام واللغة العربية، منشورات نادي الفكر الإسلامي، الرباط الطبعة 1، ص 198.

²¹ عبد الناصر، مقري، الفرنفونية ومحنة اللغة العربية بالمغرب مجلة البيان، دراسة

<http://www.albayan.magazin.com/files/frankofoniah/4.htm>

ثامنا: أصوات مناهضة للفرنكوفونية ورافضة لمشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

يمكن أن نقف عند جملة من الأدلة القاطعة على إدانة مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين ورفضه جملة وتفصيلا

على الشكل الآتي:

الدليل الأول: إلغاء جميع المبادئ الوطنية التي أجمع عليها المغاربة طيلة أربعين عاما.

اكتشف الشعب المغربي في السنوات الأولى من استقلال المغرب، أنه ما يزال مهددا في استقلاله وحرية وكرامته ومقومات شخصيته الوطنية: الدينية واللغوية والثقافية، فضلا عن استقلاله المالي والاقتصادي، بسبب استمرار تطبيق سياسة التعليم الاستعمارية، دون وضع مبادئ أولية لـ "نظام تربوي وطني" ينسجم مع عهد الاستقلال، بإقرار المبادئ الأربعة للتعليم المتمثلة في "تعريب التعليم وتعميمه، ومغربته وتوحيده".

الدليل الثاني: المشروع يتحدى بوقاحة نصوص الدستور المغربي.

لعل من دقق في مضامين الميثاق الوطني للتربية والتكوين يلاحظ باندهاش، أنه يتحدى بكل حيثياته ومبرراته واختراعاته اللاتربوية، نصوص الدستور المغربي، مع فرض مبدئين في نصوصه:

• الإسلام دين الدولة المغربية.

• اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد.

إن مشروع الميثاق باعتراف مقدمته، وتصريحات رئيس لجنته، لا علاقة له بأي إجراء ديمقراطي، لا من قريب ولا من بعيد، تبنته لجنة حكومية لم ينتخبها أحد، والأخطر من ذلك كله أنه يتحدى إرادة الشعب المغربي برفضه وسخريته بجميع المبادئ والقيم الوطنية، إضافة إلى تحقير شأن اللغة العربية، وإقصائها عن القيام بدورها التاريخي والحضاري في أحد معاقلها العالمية، واستبعاد الإسلام كدين ودولة وحضارة، من فكر الأجيال المغربية الصاعدة وحياتها الثقافية والاجتماعية.

الدليل الثالث: مشروع الميثاق صيغ لتحقيق الأهداف التالية:

• تكريس الفرنكوفونية الاستعمارية العلمانية في المغرب العربي الإسلامي.

22 أبو زيد المقري، الفرنكوفونية والإستلاب. عوائق التعلم. ومعوقات النهوض، مركز البحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2019.

- تمزيق وحدة الشعب المغربي اللغوية والفكرية والدينية والثقافية.
- عزل المغرب عن عالمه العربي والإسلامي، وإدماجه كدولة هجينة بدون هوية في "سوق نخاسة" الحضارة الغربية.

لا يصعب على أي باحث موضوعي، متخصص في علوم التربية، وخبير في السياسات الاستعمارية، أن يكتشف هذه الأهداف الجرثومية السامة، التي تختفي وراء أساليب الإغراء والتمويه، وشعارات التنمية والتقدم والحداثة والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان بينما هي تنمو وتزدهر بانتشار الأمية والبطالة والفساد والرشوة وانهيار الأخلاق.

بناء على ما سبق وتأسيسا عليه، إننا نرى أنه لم يعد أحد يجهل حقيقة الأهداف الاستعمارية الخطيرة لمشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ويكفي لإدانتها مشروع "مشروع المسالك المزدوجة" الذي تزامن تقديمه من طرف وزير التربية الفرنسي لوزير التربية المغربي، مع الإعداد لمشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين، فهما توأمان متكاملان فكرا وهدفا ونهجا، ويعبر هذا التزامن عن الرغبة في تسريع الخطى لربح الوقت حتى إذا تعثر أحدهما في الطريق، كان الآخر في عونه يشد أزره، والغريب في الأمر أن المشروعين معا يوجدان خارج "المشروعية" في دولة الحق والقانون التي يطالب الجميع بإقرارها والالتزام بأحكامها.

هذا فيما يخص حديثنا عن الميثاق الوطني للتربية والتكوين، أما المخطط الاستعجالي الذي جيء به لضخ نفس جديد وتسريع وثيرة الإصلاح فقد فشل هو الآخر في مهمته، وصولا إلى الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم (2015-2030). والقانون ال إطار 51.17 الذي يعرف حاليا جدلا كبيرا في الساحة المغربية. إن ميثاق التربية والتكوين كشق عن الثغرة الأولى في مدى قدرة الفرنكفونية التدخل في الشؤون التربوية للمغرب ورسم سياساته اللغوية.

إن هدف مشروع القانون الإطار الجديد المكون من ستون مادة، والذي يحمل في طياته الجانب السلبي أكثر من الإيجابي، هو خدمة السياسة الفرنسية بالمغرب. ولعل المطلع على مضامين هذا القانون (التناوب اللغوي، والهندسة اللغوية) وخصوصا المواد (02، 31، 32)، يجد أن ظاهره جميل، ولكن خفاياه كلها ضد اللغة العربية، فهو يرى أنها لا تصل لتدريس المواد العلمية، وهذا منطوق يتهم العربية بالعجز والتعقيد، لكن هدفه من ذلك كله هو التمكين للغة الفرنسية تحت مظلة "تدريس اللغات الأجنبية".

هذا في الشق المتعلق بالتناوب اللغوي، أما الشق المتعلق بالهندسة اللغوية، فإن المادتين (31، 32) من مشروع هذا القانون، تؤكدان بطريقة غير مباشرة التمكن للغة الفرنسية، وتبرير النقوص والردة عن التعريب، وتكريس التدريس باللغة الفرنسية في الإعدادي والثانوي.

إننا نرى أن هذا القانون يرد له تنويج مرحلة الردة التي بدأت منذ ربع قرن بالمسالك المزدوجة، وأثرها على الهوية والاكنتساب وشخصية الطفل.

خاتمة:

بناء على ما سبق وتأسيسا عليه، إننا نرى أنه قد حان الوقت لأصحاب القرار السياسي والثقافي والتربوي في المغرب، أن يضعوا اللغة الفرنسية في الموقع الذي تستحقه، كلغة وأداة للانفتاح على العالم بالقدر الذي يناسبها، إلى جانب اللغات العالمية المؤثرة على الساحة الدولية علميا واقتصاديا وثقافيا، بل إن الأمر أصبح يستوجب ضرورة العودة إلى اللغات الوطنية، لنقوم بأدوارها التربوية والتعليمية والعلمية الحضارية، كلغات للتدريس والبحث العلمي في مختلف المستويات والتخصصات والمسالك، لأن التجارب الدولية والإقليمية أثبتت بالدليل القاطع، أن لا مجال للتنمية والتطور والحدثة خارج اللغة الوطنية، وأنه ليس هناك تجربة تنموية واحدة نجحت لحد الآن باللغة الأجنبية.

قائمة المصادر والمراجع.

أبو زيد المقري، الفرنكفونية والإستلاب. عوائق التعلم. ومعيقات النهوض، مركز البحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2019.

أحمد عزوز، العدالة اللغوية في المجتمع المغربي، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، ص 82
أدريس الكتاني، ثمانون عاما من حرب الفرنونية على الإسلام واللغة العربية، نشرات نادي الفكر الإسلامي، الرباط، ص 173

أنطوان سيف، الفرنكفونية : إيديولوجيا السياسات، تحدي ثقافي لغوي، المناقشات، ص 105.

أونيسيم ركلوس، فرنسا والجزائر والمستعمرات، 1880

بلحبيب رشيد، الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، مؤتمر اللغة والهوية في الوطن العربي، قطر،

2012 ص 273

بوجمعة وعلي، الفرنكفونية انفتاح لغوي أم استعمار ثقافي، مجلة الإشعاع، العدد التاسع شتنبر 2017

خالد الصمدي جوانب من الفرنكفونية في نظام التربية والتعليم بالمغرب، دراسة

<http://www.albayan.magazin.com/files/frankofoniah/2.htm>

دورية الجنرال ليوطي حول لغة التعليم بالمغرب بتاريخ 16/6/1921

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، جامعة لافال - كيبك بتاريخ 24 سبتمبر/ أيلول 1966

عبد العلي الودغيري، الدعوة إلى الدارجة بالمغرب. الجذور والامتدادات - الأهداف والمسوغات - في الدارجة والسياسة

اللغوية في المغرب (المغرب: المركز المغربي للدراسات والأبعاد المعاصرة 2010، ص 35).

عبد الكريم غلاب، رهانات الفرنكفونية في علاقتها بمسألة التغريب، ص 40

عبد الناصر، الفرنكفونية ومحنة اللغة العربية بالمغرب، مجلة البيان، دراسة:

<http://www.albayan.magazin.com/files/frankofoniah/4.htm>

محمد الأوراغي مستويات لغوية وطبقات اجتماعية في "الدارجة والسياسة اللغوية بالمغرب" ص 75